بعض المشاهدات

بشبه جزيرة سينا

لحضرة صاحب العزة عبد العزيز عبد الله سالم بك
وكيل وزارة الزراعة المساعد *

يسرنى أن أحدثكم اليوم عن بعض ما شاهدته بشبه جزيرة سينا أثناء رحلتى إليها فى الفترة بين يومى الأربعاء ٨ والجمعة ١٧ يناير سنة ١٩٤٧ ، تلك الرحلة التى استغرقت قرابة العشرة الأيام قطعت فيها نحو ١٥٠٠ كيلومتر وزرت فى أثنائها أهم قراها وجبالها ووديانها ، وألممت بكثير من نواحيها المختلفة وبخاصة الزراعية منها التى أعتبرها من صميم اختصاصى، وذلك بقدر ما سمحت لى به المدة التى قضيتها فيها ، والظروف التى أحاطت بتلك الزيارة .

كان الغرض الأول والأهم من رحلتى إلى شبه جزيرة سينا أن أتفقد حالة الجراد بعد أن وصلتنا الأخبار بإغارته على أراضينا من بعض البلاد المجاورة ، ولأرى بنفسى مدى ما قام به موظفونا الذين انتدبناهم لمقاومته فى شبه الجزيرة ، ولأتحدث إليهم فى المهمة التى قاموا من أجلها ، وأشاطرهم معيشتهم وأسمع شكاواهم عسى أن أجد وسيلة ممكنة لتحسين حالتهم المعيشية ، وتخفيف وطأة العمل الشاق الذى يقومون به .

وإنه ليسرنى أن أذكر فى هذا المقام أنهم بالرغم مما يلاقونه من صعاب مختلفة فإنهم مقبلون على عملهم إقبالا ظاهره الرجولة وباطنه الشعور بالمسئولية . يدل على ذلك ما لمسته بنفسى من النتائج الباهرة التى حصلوا عليها والتى شاهدتها بنفسى . وإنى لأقرر هنا أنهم قد نجحوا فى القضاء على أسراب الجراد التى تسللت إلى شبه جزيرة سينا ، والتى لو تركت وشأنها لدخلت الوادى وسببت للزراعة فيه أضرارا جسيمة .

يا حضرات الإخوان :

شبه جزيرة سينا هى الأرض التى تحد شمالا بالبحر الأبيض المتوسط وغربا بقناة السويس ، وجنوبا بالبحر الأحمر ، وشرقا بخليج العقبة والأراضى الفلسطينية وتبلغ مساحتها نحو ٦٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع .

---

* محاضرة ألقاها بالمجمع المصرى للثقافة العلمية يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٧

ويسكن هذه المنطقة أعراب أغلبهم رحل إلا القليل منهم الذى أنس إلى سكنى القرى الصغيرة المنثورة فى شبه الجزيرة هنا وهناك .

ويعيش أغلبهم عيشة شظف وفقر وفاقة ، وليس لهم من مورد للرزق إلا ما يربونه من أغنام وإبل كلها هزيلة،وقد ينفق بعضها من قلة ما تجده فى الوديان والجبال من غذاء ، ويقوم بعض العربان بزراعة الشعير والحنطة والحلبة والبطيخ وهذه يتوقف إنباتها ونموها على ما يسقط من أمطار فى تلك الجهات ، وتختلف كميات الأمطار كثرة وقلة،وهكذا تتقلب حياتهم بين الانتعاش والبؤس .

ويمكننى على ضوء ما رأيته بنفسى فى شبه جزيرة سينا أن أقسمها إلى منطقتين : شمالية وجنوبية .

المنطقـــة الشمالية :

هى التى تحد شمالاً بالبحر الأبيض المتوسط ، وشرقاً بالخط الوهمى الممتد من قرية رفح على البحر الأبيض إلى نقطة طابا على خليج العقبة ، وغرباً بقنال السويس وبعضها يحد غرباً بخليج السويس وجنوباً بالخط الوهمى بين طابا ورأس مطارمة على خليج السويس .

وأهم ما يلفت النظر فى هذه المنطقة قلة وجود الجبال العالية فيها خصـــوصاً فى الجزء الشمالى منها ، وكثرة الأراضى المسطحة التى يصلح الكثير منها للزراعة .

ولعل أهمها وادى العريش ، ذلك الوادى العظيم الذى تبلغ مساحته عشرات الألوف من الأفدنة الصالحة للزراعة ، والذى أعتقد أنه سيكون له مستقبل عظيم بعد أن تتم مشروعات وزارة الأشغال فى منطقة الروافع ومنطقة الصيفه،هذه المشروعات التى سيترتب عليها توفير كميات كبيرة من المياه تروى منها هذه الأراضى .

كما أن منطقة الساحل بوجه عام فيها الكثير من الأراضى الصـــالحة للزراعة وبخاصة منطقتى العريش ورفح ، فإن حولها مساحات واسعة بعضها يزرعه العربان وبعضها مهمل لا زرع فيه ، وأغلب ما يزرع من هذه المناطق يعتمد على مياه الأمطار والقليل منها خصوصاً فى منطقة رفح يعتمد فى الرى على الآبار الارتوازية كما أن مساحات ضئيلة جداً تعتمد فى الرى على مياه العيون .

المنطقـة الجنوبية :

هى عبارة عن مثلث رأسه رأس محمد ، وضلعاه أحدهما ممتد على خليج العقبة من رأس محمد حتى نقطة طابا والضلع الآخر ممتد على خليج السويس من رأس محمد إلى رأس مطارمة جنوبى السويس بنحو ٦٠ — ٧٠ كيلو متراً وقاعدته عبارة عن الخط الوهمى من طابا إلى رأس مطارمة .

وفى شمال المنطقة الجنوبية توجد منطقة تعرف بمنطقة التيه ، وهى عبارة عن جزء كبير من شبه الجزيرة لم يستكشف بعد ، ولست أدرى سبب عدم كشفه حتى الآن ، وقد بلغت وسائل النقل من طائرات وسيارات وما إليهـا من الرقى درجة كبيرة . على أن كشف هذه المنطقة قد يفيدنا زراعياً واقتصادياً ، وإذا فرض أنه لا فائدة منه زراعياً أو اقتصادياً فإن ترك هـذه المنطقة من أرضنا على حالها هذا المجهول فيه ما يشعرنا بالخجل والصغار أمام العالم أجمع .

وأهم مايلفت النظر فى هذه المنطقة كثرة جبالها العالية وتقارب بعضها من بعض ، وبالتالى ضيق وديانها وقلة أراضيها المسطحة التي تصلح للزراعة ، ولعل هذا يرجع إلى طبيعة الأرض ، فارتفاع الجبال وعلوها يجعل ماء المطر إذا هطل ينحدر بشدة من أعالى الجبال ويسير بسرعة فى الوديان متجهاً اتجاهاً قوياً نحو البحر .

وإذا استثنينا ما يزرع فيها من أراض قليلة على مياه العيون كانت هذه المنطقة قاحلة ومستقبلها الزراعى لا يدعو إلى الأمل .

تلك لمحة بسيطة عن جغرافية هذه المساحة الكبيرة من الأراضى المصرية .

إخوانى وزملائى :

بدأت رحلتى وبرفقتى بعض زملائى الموظفين ، وكان ذلك فى صبيحة يوم الخميس فبدأنا من مدينة الاسماعيلية ، وبعد أن اتخذت معنا الإجراءات الجمركية المعتادة عبرنا القنال (وهنا أضع تحت أنظاركم حالة لا أعتقد أنهـا موجودة إلا فى بلادنا ذلك أن الإجراءات الجمركية تتخذ مع المسـافر عدة مرات داخل حدود القطر الواحد ، فبينا تستوفى بجمرك الاسماعيلية أو السويس أو القنطرة ، تستوفى مرة أخرى بجمرك أبو عويجلة وسط شبه جزيرة سينا ، ثم تتخذ مرة ثالثة

بجمرك خارج العريش داخل الحدود المصرية ، ثم تتخذ مرة رابعة بجمرك رفح على الحدود) .

واتخذنا الطريق إلى العريش ، وهو طريق ممتد يمر فى بعض الأراضى الرملية المنبسطة ، المليئة بالشجيرات والأعشاب مما ترعاه الأغنام والإبل . وعلى الكيلو ٧٠ من الاسماعيلية يستوقف نظرك بعض الخيام ، ولابد أن تعتريك الدهشة لرؤية مثل هذا المنظر فى مكان قفر لا ماء فيه ولا حيوان ، تلك خيام الجنود المجهولين موظفى وزارة الزراعة الذين أوفدوا لمراقبة حركات الجراد واستكشاف أماكنه ومقاومته ، على أن ما يلزم رجالها من مواد التموين ونحوها ينقل إليهم من الاسماعيلية . وقد يمكث أفراد اللجنة على هذه الحالة أسابيع أو أشهرا فى هذا المكان القفر . وقد قضينا مع هؤلاء الأبطال بعض الوقت ثم تركناهم واستمر بنا الطريق هكذا بين تلال ووديان ، اللهم إلا بعض الشكنات الحربية للجليفة منثورة هنا وهناك ، وما زلنا كذلك حتى وصلنا إلى « أبو عويجلة » ، وهى قرية متواضعة تبعد عن الاسماعيلية نحو ٢٠٠ كيلو متراً ، ومن العريش نحو ٥٥ كيلو متراً ، واقعة على مجرى سيل وادى العريش ، وفيها نقطة للجمرك ، كما أن بها لجنة أخرى لمقاومة الجراد ، وعلى بعد بضع كيلو مترات شرقاً لهذه القرية وفى منطقة الروافعة أقامت وزارة الأشغال المصرية سداً عظيما سيصبح فيما بعد كقنطرة حجز تمد ترعتين على جانبيه بالمياه لرى الأراضى الزراعية .

وعلى بعد ١٥ كيلو متراً جنوبى هذا السد ستقيم وزارة الأشغال سداً آخر عند منطقة الصيفة لتخزين نحو ١٦٠ مليون متر مكعب على الأقل ، ويمكن للوزارة إذا أرادت التوسع فى هذه المشروعات أن يصل الماء المخزون إلى ٣٥٠ مليون متر مكعب .

وستكفى هذه المياه لرى نحو ٢٠٫٠٠٠ فدان من أراضى وادى العريش ، وعند ما يتم ذلك ستتبدل الحال فى هذه الجهة ، وفى اعتقادى أنها ستصبح يوماً ما كأخصب أراضى الوادى ، وسيكون لمصالح الحكومة المختلفة دور هام فى تلك المنطقة كل يعمل فى اختصاصه لتحسين حال السكان ورفع مستوى معيشتهم .

وبعد أن أمضينا مع الموظفين بعض الوقت تركناهم واتجهنا إلى بلدة العريش . والمسافة بين القريتين نحو ٥٥ كيلو متراً ، وعلى طول هذا الطريق يتبين وادى

العريش ، تلك الأرض المنبسطة التى لا يبلغ البصر مداها والتى تبلغ مساحتها عشرات الألوف من الأفدنة ذات اللون الأخضر الصالحة للزراعة متى توفر الماء وهو سيتوافر إن شاء الله فى القريب العاجل بفضل مجهودات رجال وزارة الأشغال .

وكلما قربت من العريش تبين لك بعض نشاط سكان تلك المنطقة ، إذ ترى أرضاً محروثة ومنزرعة شعيراً على مياه الأمطار ، ويزداد النشاط عند العريش نفسها وفى ضواحيها . والعريش بلدة صغيرة هى عاصمة شبه جزيرة سينا ، وتكثر فيها البساتين المتواضعة والنخيل ، وفيها حركة تجارية لا بأس بها . وهناك تقيم الحكومة سداً لحمايتها من غائلة السيول التى كثيراً ما تغير على البلدة وتحدث لها أضراراً جسيمة، وذلك بسبب الأمطار المضطربة الكمية التى قد تصل فى بعض السنين إلى سيل جارف . وكل هذه المياه لو أمكن التحكم فيها أو السيطرة عليها لأمكن زراعة آلاف الأفدنة بحالة مستمرة . وليس هناك شك فيما سيترتب على ذلك من نتائج غاية فى الاهمية سيكون لها أكبر الأثر فى حياة مصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وسيدب النشاط فى هذه الجهة من حدودنا الشرقية ، وسيركن الأعراب إلى الاستقرار وهو أولى خطوات التقدم الاجتماعى ، كما أن أبواب الرزق الحلال ستنفسح أمامهم ، وهى منافذ التقدم الاقتصادى . وفى العريش لجنة للكشف عن الجراد ومراقبته ومقاومته .

وفى اليوم التالى قصدنا قرية رفح على الحدود المصرية ، والمسافة بينها وبين العريش نحو ٤٥ كيلو متراً ، والطريق معبد ، والسكان فى هذه الجهة أكثر نشاطاً فى الزراعة من أهل العريش . ولعل ذلك يرجع إلى كثرة هطول الأمطار فى تلك المنطقة ولكنها على كل حال زراعة لا تسد حاجة أصحابها . وكلما تقدمت نحو رفح ازداد النشاط الزراعى ، ولعل ذلك نتيجة اتصالها بفلسطين ، حتى إذا دخلت رفح وجدتها قرية صغيرة متواضعة سكانها من العرب تكثر فيها الزراعة المطرية وقليل من أهلها يملكون آبارا ارتوازية تروى بساتينهم المتواضعة ويبيعون منها ماء للشرب . ولقد اضطررت بحكم عملى أن أدخل الحدود الفلسطينية لأقف من زملائنا ورجال الزراعة هناك على أخبار الجراد وتحركاته على أن أستفيد من هذه الأخبار فى اتخاذ الحيطة لحماية بلادنا من شر غاراته . ويكفى أن أخبر حضراتكم أننى أحسست حين دخولى الأراضى الفلسطينية بأننى انتقلت حقاً من أرض غير

الأرض المصرية ، فمن أرض قحلاء فى رفح وما قبلها إلى أرض خضراء وبساتين غناء داخل الحدود الفلسطينية وما بعدها ، مع أن معدن الأرض واحد والسكان هنا وهناك عرب ، والأمطار هنا وهناك تتقارب نسبها غير أن الفارق بين النشاطين كبير ، والبون بين الكفاحين عظيم .

ولقد أسعدنا الحظ بزيارة بعض البساتين الأهلية ومحطات التجارب الحكومية وكلاهما يظهر فيه روح النشاط والغيرة والإقدام بهمم لا تعرف الكلل ، تسير على سياسة مرسومة وهدف معين لا يتغير بتغير الأهواء .

عدنا إلى العريش فى المساء ، وفي صباح اليوم التالى قصدنا قرية أبو عويجلة ومنها اتخذنا طريق قرية القسيمة ، وهى قرية متواضعة تقع فى الجهة الشرقية من شبه الجزيرة قرب الحدود الفلسطينية وعلى بعد نحو ١٠٠ كيلو متر جنوب شرق العريش .

وعلى مسافة عشرة كيلو مترات شرقاً توجد عين ماء طبيعية تعرف بعين الحديرات تكفى مياهها لرى نحو ٧٠ فدانا منزرع بعضها بالمحاصيل الشتوية كالقمح والشعير والبعض بالبساتين كالنخيل والأعناب والزيتون والأشجار الخشبية المختلفة كالتوت والكازورينا والكافور . وإنى على يقين من أنه لو اعتنى بمياه هذه العين لكفت مياهها رى ضعف هذه المساحة بسهولة ، وذلك بعمل بعض القنوات من الاسمنت لتحفظ ما يتسرب من المياه فى الرمال بطريق الامتصاص ، وعلاوة على ذلك يمنع جريانها في المنخفضات نتيجة تكسر هذه القنوات الرملية لضعفها فيتسبب عن ذلك تكوين مستنقعات يتوالد فيها بعوض الملاريا الذى يفتك بسكان تلك المنطقة فتكا ذريعاً . ولقد صرح لى أحد المشايخ هناك بأنهم لا يمكنهم السكنى فى هذه البساتين فى فترة الصيف بسبب الملاريا فعدت إلى القسيمة ومنها قصدت الكونتلة ، بعد أن قطعنا مسافة تبلغ قرابة ١٠٠ كيلو فى أرض بعضها وعر للغاية لم تتمكن السيارة من السير فيها بسرعة أكثر من ١٠ ك فى الساعة والأرض جبلية قحلاء اللهم إلا القليل من الوديان الفقيرة حتى من الأعشاب .

والكونتلة عبارة عن مخفر مبنى على تل يرتفع نحو ٣٠ متراً فى وسط أرض رملية فسيحة الأرجاء ولا يقيم فى هذا المكان غير رجال البوليس وبعض العربان الذين لا يزيد عدد خيامهم على عدد أصابع اليدين .

ومن الكونتله يمنا شطر خليج العقبة والأرض هناك منبسطة نوعا غير أنها مغطاة بطبقة من الصخور المختلفة الأشكال والألوان ، وبعض الطريق سهل وبعضه صعب حتى وصلنا إلى مخفر النقب، وهو مخفر صغير مبني فى أعلي الهضبة ويبعد عن النقب بضع كيلو مترات .

والنقب هو عبارة عن الطريق الضيق الوعر الذى يصل بين الهضبة العالية والوادى المصرى الذى يبلغ إلى ساحل خليج العقبة ، وقد كان النقب فيما مضى إحدى المراحل التى يمر بها حجاج بيت الله بين مصر والحجاز ، ولها خطورتها في الوقت الحاضر كما كانت لها هذه الخطورة فيما سلف .

ووقفنا استعداداً للنزول فى الوادى المصرى الذى يوصلنا إلى خليج العقبة ولعل هذه المرحلة هى أخطر المراحل وأشقها . فقد نزلنا فى طريق ضيق كثير الانحناءات من ارتفاع يبلغ نحو أربعة آلاف قدم ، ولا يسمح لسيارة بالنزول إلا بعد أن تصل التى سبقتها إلى أسفل النقب ، كما لا يسمح لسيارة بالصعود إلا إذا وصلت سابقتها إلى أعلى النقب ، ويقف السائق فى أعلى النقب أو فى أسفله بضع دقائق يستمع فيها إلى أزيز يشبه أزيز نزول السيارة أو صعودها ، فإذا لم يسمع شيئاً بدأ فى النزول أو الصعود . ومن الغريب أن النقب والوادى المصرى هما أرض فلسطينية، أما منظر الجبال فى تلك المنطقة فيفوق كل وصف من حيث الارتفاع والألوان الطبيعية البديعة من صخور حمراء إلى أخرى زرقاء إلى ثالثة صفراء ، ورابعة خضراء ، وقد تجتمع هذه الألوان كلها أو بعضها فى جبل واحد .

وبعد أن وصلنا بسلامة الله إلى ساحل خليج العقبة اتجهنا جنوبا بضع كيلو مترات حتى وصلنا إلى طابا ، وهى نهاية حدودنا على خليج العقبة ، وبجوار المخفر توجد استراحة صغيرة أمضينا فيها الليل ، وفى الصباح قصدنا بلدة العقبة متخذين طريقاً على شاطىء البحر ماراً بالمخفر الفلسطينى . والعقبة قرية صغيرة فيها قلعة أثرية من زمن المماليك وميناء لا بأس به ، وقد أنشئ فيها حوض جاف أثناء الحرب، أما البلدة ففى غاية من الفقر .

قابلت مدير الناحية وسألته عما لديه من أخبار الجراد فوجدت ما لديه من معلومات عنه قليلا للغاية ، ثم تركناه وصعدنا إلى النقب من جديد قاصدين المخفر المصرى فى أعلاه حيث وجدنا بقية سيارات الحملة فى انتظارنا .

يممنا بعد ذلك قرية التمد . مارين بكثير من الوديان الضيقة التى ترعى فيها بعض الجمال وبعض الغزلان والطريق فيه وعورة وسهولة ، والأرض بين مرتفعة ومنخفضة حتى ينتاب الإنسان شعور عميق بأنه قد ضل الطريق .

والتمد قرية صغيرة فيها محفر للبوليس وعين ماء صغيرة تمد السكان بما يحتاجون اليه من ماء عذب ، كما تشرب منها الحيوانات من جمال وأغنام . وفيها لجنة لوزارة الزراعة للبحث عن الجراد ومقاومته . وبعد أن استرحنا قليلا قصدنا « نخل » وهى قرية كبيرة نوعاً ، وقد كانت عاصمة شبه الجزيرة إلى بداية الحرب العظمى الأولى ، وهى واقعة فى أرض منبسطة فسيحة الأرجاء تشرف على التيه — الذي ورد فى التاريخ أن بنى اسرائيل ضلوا الطريق فيه — وبها قليل من الأشجار الخشبية ، وكان ركب المحمل النبوى يمرون بها فى الزمن الغابر ، وفيها لجنة مقاومة الجراد ، كما أن بها عين ماء ماؤها مالح قليلا .

وبعد أن تناولنا طعام الغداء تركنا « نخل » قاصدين إلى السويس، وأمضينا الليلة هناك بعد رحلة دامت خمسة أيام متوالية . ولست أخفى على حضراتكم أن أعضاء اللجنة كانوا فى أشد الحاجة إلى الراحة والاتصال بالعالم المتمدين بعد هذا الانقطاع.

وفى الصباح عبرنا القنال مرة أخرى واتجهنا جنوباً مع خليج السويس قاصدين قرية أبو زنيمة ، وفى طريقنا عرجنا على منطقة قريبة من عيون موسى كانت تبحث فيها شركة شل عن البترول ، فوجدت ماء وإن كانت المياه التى تفجرت مالحة ، غير أنه على بعد ثلاثة كيلو مترات شرق هذا المكان حاولت الشركة البحث عن البترول ، مرة أخري ، فانفجرت عين ماء أقل ملوحة من الاولى ، وهذا مما يزيد الأمل فى وجود المياه الجوفية العذبة فى كثير من الأماكن الصحراوية ، وهى عملية وإن صعبت إلا أن النتائج التى قد يهتدى اليها ستكون ذات فائدة كبيرة ، ومنفعة جليلة .

وقريب من هذا المكان توجد عيون موسى المعروفة وحولها النخيل ، وتزرع على مياهها بعض الخضراوات ، وأعتقد أنه لو أجريت بعض الأبحاث على هذه العيون ومدى الانتفاع منها لعاد ذلك البحث بنتائج لها قيمتها فى رفع مستوى معيشة هؤلاء السكان الفقراء الضعفاء المنسيين .

تابعنا السير حتى وصلنا إلى أبو زنيمه ، وهناك قضينا الليلة فى استراحة الحدود وتذاكرنا مع أعضاء لجنة مقاومة الجراد حالة منطقة جنوب سينا وأثر إغارة الجراد عليها وما إلى ذلك .

وبسبب هطول الامطار فى تلك الليلة لم نتمكن من متابعة السير فى الصباح إلى حيث نقصد ، واضطررنا أن نبقى يوماً فى هـــذا المكان بدون عمل حتى إذا كانت صبيحة اليوم التالى قمنا قاصدين إلى واحة فيران فدير سان كاترين والطريق إلى الواحة وعر للغاية ، وقد يضل فيه المسافر بسهولة لتشابه الوديان ولكثرة مرور السيارات فى هذه المنطقة قاصدة إلى محاجر هناك مختلفة تستحضر منها مادة ملونة ، وهى المعروفة بالاهرة الصفراء والاهرة الحمراء وتستعمل فى تحضير البوية،وتوجد هذه المادة على هيئة قطع هشة بين الصخور وبكميات هائلة .

ووصلنا بعد ذلك إلى « واحة فيران » وهى واحة كبيرة يبلغ طولهـا نحو الأربعة كيلو مترات ، ولكنها ضيقة فى العرض وفيها نخيل بكثرة تدل على أنه لم تهذبه يد إنسان ، فأوراقه الجافة متلاصقة فيه ، وفسائله مجتمعة حوله بشكل مخيف ، وفيها بستان صغير يملكه الدير فيه أعناب وزيتون وبرتقال ولوز وجوز وكلها نامية نمواً لا بأس به بالرغم مما ينالها من إهمال تام .

والعين الموجودة بهذه الواحة فى حاجة إلى عناية وتنظيم ، ولو أحكم التسلط على مياهها لأفادت ضعف المساحة المنزرعة ، وذلك بعمل حوض كبير من الأسمنت تتدفق فيه المياه ، ثم تخرج منه فتحات فى قنوات من الأسمنت فتمنع بذلك ضياعها كما تحول دون تكون المستنقعات الكثيرة المتسببة من ركود الميـــاه فى المنخفضات وما ينشأ عن ذلك من إيجاد مرتع خصب لناموس الملاريا .

والسكان هناك كلهم مصابون بالملاريا بحالة يرثى لها وتستدر العطف وتستوجب الرحمة .

وبعد أن سرنا نحو الكيلو مترين استوقفنا أحد مشايخ العربان لزيارة مزرعته الصغيرة التى تبلغ نحو عشرة أفدنة يرويها من بئر حفره حديثاً وترفع مياهه بواسطة ماكينة صغيرة تدير طلمبة ذات ثلاث بوصات وهو ، رجل تبدو عليه علامات النشـــاط والجد ، يدل على ذلك ما قام به من مجهود

فى تمهيد أرضه ، ونزع جميع الأعشاب والشجيرات الصحراوية منها وجعلها صالحة للزراعة ، وقد تقدم يطلب من الوزارة بعض أشجار الفاكهة لزراعتها هناك ، وقد عنيت الوزارة بطلبه عناية خاصة وستعمل على نقل الاشجار إليه .

كما استحضرنا من ماء العين عينة للتحليل ثبتت صلاحيتها للرى . كل هذه التجارب الفردية مما يعزز الرأى القائل بوجود مياه جوفية فى كثير من مناطق شبه الجزيرة التى يجب العمل جديا فى البحث عنها لأن النتائج التى تترتب على وجودها ستكون ذات قيمة عظيمة فى تحسين معيشة السكان ورفع مستواهم .

سرنا بعد ذلك فى الوديان قاصدين دير سان كاترين ، والطريق وعر والجبال عالية صلدة ، حتى إذا قاربنا مقام صالح عليه السلام اتسع الوادى قليلا وأصبح السير فيه من أشق الأمور لكثرة رماله المختلطة بالزلط الصغير . وإذا توقفت السيارة لأمر ما تعذر عليها متابعته دون قوة مساعدة سواء أكانت هذه القوة جسمانية أو ميكانيكية .

وفى هذا الوادى يسكن الكثير من العربان الذين يعيشون على ما يتصدق به عليهم رهبان الدير . وبعد قليل كنا أمام دير سان كاترين أو بالوادى المقدس ، والدير عبارة عن مبنى عظيم مقام فى زاوية حادة لجبلين عظيمين وبناؤه على ارتفاع ١٦٠٠ متر من سطح البحر .

ودخلنا الدير فقوبلنا بترحاب عظيم من الكهنة والرهبان وعلى رأسهم نيافة المطران فران الثالث الذى غمرنا بكل أنواع الكرم ، فمن أكل شهى ، إلى فراش وثير إلى خدمة دقيقة حتى كاد الواحد منا يشعر بأنه فى منزله بمصر لولا شدة البرد القارس الذى ذكرنا بجو أوربا فى صميم أشهر الشتاء .

وفى الصباح زرنا الدير الذى يضم فى مبناه كنيسة كبيرة رئيسية وبعض كنائس صغيرة كلها غاية فى العظمة بما احتوته من نفائس يعجز عنها الوصف ، كما أن بها مسجداً صغيراً غاية فى النظافة فرش بالأبسطة وله منبر دقيق الصنع . ومما يلفت النظر فيه بصفة خاصة ثلاث ستائر من الحرير الأزرق موشاة بآيات قرآنية من الفضة الخالصة أهداها للجامع مولانا المغفور له الملك فؤاد الأول رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

وخلف الكنيسة الرئيسية توجد حجرة صغيرة مفروشة بأحسن الأثاث يقال إنها البقعة المباركة التي وقف فيها نبي الله موسى مكلماً ربه ، ولا يسمح بدخولها لأحد مهما علا شأنه إلا إذا خلع نعليه . وخارج هذه الحجرة شجرة يقال إنها الشجرة التي شاهد فيها موسى ناراً ، والتي جاء ذكرها مرتين في القرآن الكريم . إذ يقول الله تعالى في كتابه العزيز في سورة طه : « هل أتاك حديث موسى ، إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودي ياموسى : إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى . . الخ » . وفي سورة القصص : « فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إني أنا الله رب العالمين » .

ويقيم في الدير الآن نحو ٢٣ راهباً انقطعوا للعبادة وخدمة الدير والتصدق على العربان المجاورين . وقد علمت أن ٧٥ ٪ مما يدخل الدير من مواد غذائية تعطى لهؤلاء العربان . وإنه لمنظر مؤثر حقاً يراه ساكن الدير كل صباح عندما يجتمع العربان وتقدم إليهم إحساناتهم المنظمة بحيث لا تزيد ولا تنقص . ومن العجب أن الذي يعطى لا يظهر كللا ولا ملالا .

نزلنا بعد زيارة حرم الدير إلى الحديقة الكبيرة المفروشة أمامه ، وفيها كثير من أشجار البرتقال والزيتون والعنب وبعض أشجار الفاكهة الأخرى كالتين والتفاح كما أن بها حظائر للأغنام والدواجن .

وفي الحديقة كذلك حجرة هي مدفن الرهبان والمطارنة ، وهي حجرة فسيحة مرصوصة في إحدى جوانبها عظام الرهبان رصاً متقناً بديعاً وفي جانب آخر جماجمهم . وفي الحجرة بعض الصناديق الصغيرة تحوي عظام المطارنة واسم كل مطران على صندوقه . ويحتوي الدير على مكتبة عظيمة فيها من الكتب القديمة مالا يقدر بثمن .

وإنه لجدير بكل مصري ألا يتوانى عن زيارة هذا الدير متى تيسر له ذلك فهو تحفة من تحف العالم .

ويقيم في الدير لجنة من رجال الزراعة لمقاومة الجراد ، وقد أفادت حدائق

الدير فائدة كبيرة ووقتها شر فتك هذه الحشرة وأفنتها عن آخرها . وإنك لتجد آثار ذلك فى أكوام الجراد الميتة الملقاة فى أرض الحديقة .

وبعد أن تناولنا الغداء ودعنا سكان الدير بعد أن سألناهم الدعوات الصالحة كما رجونا لهم طيب الإقامة . وإن وصف الدير ومعيشة رهبانه لا يتسع له مثل هذا المجال القصير .

ووصلنا أبو زنيمه مساء حيث قضينا الليلة فى استراحة مصلحة الحدود ، ثم غادرناها صباحاً حيث عدنا إلى السويس ومنها إلى القاهرة فوصلنا إلى منازلنا مساء ذلك اليوم .

هذا حديث مختصر عن زيارة خاطفة لشبه جزيرة سينا أرجو أن أكون فيه قد نقلت لحضراتكم صورة مصغرة لأهم مارأيته هناك . ولكن الأهم من ذلك كله هو ان أرجو منكم وأنتم هيئة علمية لها مركزها الخاص أن تهيب جميعاً بالحكومة لتعمل فى غير هوادة ولا تراخ على دراسة أوجه الإصلاح المختلفة فى هذا الجزء من الأراضى المصرية فتنقب عن كنوزها المعدنية وينابيعها المائية، وتعمل على إصلاح أراضيها الزراعية ، كما تعنى بصحة الأهلين وتعمل على رفع مستواهم مادياً وعلمياً واجتماعياً حتى يشعروا بأنهم جزء من الأمة .

وأعتقد أن خير وسيلة للوصول إلى هذه الأغراض مجتمعة تشكيل لجنة لبحث أوجه الإصلاح الشامل وتقدير المدة اللازمة لتمامه ، والمبالغ التى يتطلبها هذا الإصلاح ثم تتولى التنفيذ هيئة تامة فيها رجال الرى والطرق والمبانى والزراعة والتعدين وغيرهم وغيرهم . . على أن يكون مركزهم شبه الجزيرة للاشراف عن كثب على التنفيذ . أما إصلاح هذه المنطقة بالمكاتبات بين الوزارات المختلفة والأخذ والرد ، فذلك أمره يطول ، ولن يتم الإصلاح المنشود فى عشرات السنين ولا فى مئاتها . ومثل هذه الهيئة الإصلاحية التى أشير بتأليفها كمثل الهيئة التأديبية التى تجرد لمأمورية عاجلة تقوم بتنفيذها حتى إذا أعتها عادت إلى ثكناتها ، وهى على أتم استعداد للقيام بمهمة أخرى .